

فكاهات

رقائش

قتيل القدر^(١)

في آخر شهر ستمبر من سنة ١٨٥٠ وصلت الى مدينة بوردو سفينة اميريكية اسمها « المقدور » قادمة من مدينة نيويورك وعليها ثلاثة عشر مسافراً وهي موسوقة بضائع برسم محل ولنغام وشركائه في بوردو . وقد عانت هذه السفينة خلال سفرها احوالاً جمة وغرق من ركبها ثلاثة وكان في جملة المسافرين فيها فتى يدعى جونز روبرت ثنتين له من العمر ٢٥ سنة وهو حلو الملامح بهي الطلعة ولكنه نحيل هزيل وجملة هيئته تدل على ان شيبته كانت مملوءة بالهموم والاحزان . وعندما ألقت السفينة مراساتها نزل روبرت الى البر وسار الى الفندق الذي حدث فيه بعد ذلك التاريخ ببضعة اشهر اول اصابة من اصابات الهیضة الوبائية التي فتكت بمعظم سكان بوردو وبعد ايام اكرى حانوتاً واقام يتعاطى صناعة التصوير وكان ولنغام المتقدم ذكره من اكابر تجار المدينة ومن اصحاب السفن التي تسافر بين بوردو ونيويورك وهو اميريكي الاصل يبلغ من العمر نحواً من خمسين سنة وكان قد اتى بوردو سائحاً فاعجبته فأقام بها وتقل اليها تجارته

(١) معربة عن الفرنسية بقلم خليل افندي الجاويش

واشترى قصرًا جميلًا بظاهر المدينة تجاوره تلال خضراء وتحديق به روضة غناء وامامه صفة واسعة تظللها الدوالي وتطل على نهر صغير ينساب انسياب الافعوان بين مروج كالزمرّد وأراض موشاة بالوان الزهر والريحان . فاقام بهذا القصر ممتعاً بجميع اصناف السعادة وبعد مدة رأى في دير للراهبات فتاة رائعة الحسن عمرها ست عشرة سنة فقال اليها وأسرّه سحر عينيها فاقترن بها واقام معها بقصره وولدت له بنتاً سماها جوليا فتمت بها سعادتهما وعكفا على تربيتها وتهذيبها . وان هذه الابنة لما بلغت السنة الخامسة عشرة دهمها مرض عضال نقص عيش والديها وحير الاطباء في علاجه وصير ذلك القصر اشبه بصومعة الناسك لا يؤمّه سوى الفقير وابن السبيل لما اشتهر من كرم الزوجين وميلهما الى مؤاساة اهل الشقاء . وعند ما وصل روبرت الى بوردو كان الوالدان قد يئسا من شفاء وحيدتهما العزيزة فزين الحب الوالدي لهما ان يصطنعا صورة لها تبقى عندهما بعد مماتها تذكّاراً يتعزيان به . وان كان مؤلماً . وكانا قد سمعا بانه قدم البلدة مصوّر ماهر وهو روبرت فاستدعياه الى القصر وتلقياه بالحنفاوة والبشاشة وكانت الفتاة ملقاة على كرسي طويل مصنوع بشكل عربة تجرّ عليها وتنزّه في غالب ساعات النهار وهي غارقة في القرو فرأى المصوّر فيها مع شدة اصفرارها ونحوها جمالاً باهراً وتين في ملامح والديها آثار حزن عليها كحزن يعقوب على يوسف . وبعد قليل جلس المصوّر تحت شجرة تين وارفة الظلال ومعه ادوات الرسم كلها فجيء اليه بالفتاة في عربتها وهي كالنائمة وجلس والداها بقربها وجعل روبرت يرسمها بسرعة مخافة ان يسطو الردي عليها قبل ان يتم رسمها . ثم سألها بلطف

ان تفتح عينيها وتوجه نظرها اليه فاطاعت ولما ووقع بصرها عليه ارتجف بدنه كأن لواحظها النواعس ايقظت عواطفه النوائم واجرت في مفاصله شبه سيال كهربائي . اما الفتاة فامتزج اصفرار وجهها بلون يشبه الجلتار والتفتت الى والدها وقالت له بصوت ضعيف اني اراني اليوم اصلح مني في سائر الايام . فكاد والدها يطيران فرحاً لانها كانت منذ خمسة عشر يوماً لا تفتح عينيها لحظة ولا تفوه بلفظة وأيقنا أن الفتى هو الذي اثر فيها ذلك التأثير النفساني الغريب فسألاه ان يقيم عندهما الى ما بعد اتمام الصورة فاجابها الى ما سألا . وهكذا فعل الحب في طرفة عين ما لم يفعله الطب في سنوات وكان روبرت عند ما برح مدينة نيويورك قد اخذ كتب وصاة من بعض اكابر تجارها الى جماعة من تجار بوردو وفي جملتهم المستر ولنغام والد جوليا فعند ما وقع هذا الحادث وتوثقت اسباب المعرفة بين الرجل والفتى أراه الكتاب الذي برسمه فزاد ميله اليه ووعدته بكل مساعدة يطلبها سواء كانت مادية او معنوية فشكره روبرت واشى على كرم اخلاقه .

وبعد مدة صارت الفتاة قادرة على ان تمشى في الحديقة مع والديها والمصور وعادت اليها عافيتها وعاودها نشاط الشباب فكانها انتفضت من كنفها او ملّ خيال الموت مجاورة بدنها . ولما طالت عشرة المصور لها انتهت بالحب الصحيح وكلف كل منهما بالآخر فراحا يصرفان الساعات بين جولان في الحديقة وجلس تحت تلك التينة يتساقيان كؤوس الحب بالنظرات ويتبادلان عهود الغرام بالعبرات حتى اذا كانا ذات يوم تحت الشجرة لجّ بالفتاة داعي الوجد والهوى فشارت اليه ان يخطبها الى والديها

وضمنت له ان طلبه لا يُردّ فوعدها بان يفعل
وفي ذلك المساء دعاهُ والد حبيبته الى قضاء هزيع من الليل في
لعب الورق واختار لعبة مجموع ارقامها ثلاثون فكان غالب اللعب ينتهي
عند روبرت بعدد ١٣ فتشأ م واستعفى وقد تغير حاله وغلب عليه الوجوم .
فقال له الرجل نحن لا نلعب على نقود فلم اصابك هذا الالبثاس كله
يا عزيزي روبرت . فقال لو كنت تعلم تاريخ حياتي لمذرتني وقلت مسكين
هذا الفتى ولكن حسبي ان اقول لك اني لم اعمل عملاً في اميركا الا كان
الفشل فيه حلبي والافخاق البني كأن النحاس لي توأم او كأنني وياه سوار
ومعصم . فقال دع عنك هذه الاوهام وتعال ازوجك بابنتي جوليا فتعيش
معها على اسعد حال وتجد من نعيم الحياة ما ينسيك هذه الوسوس . فاجاب
اني اكون بلا شك سبب شقاؤها ومنفراً لطائر السعد عن ناحيتكم . ومما يؤكد
لك ان النحاس مقرون بطالعي اني لست فقيراً فيعرقل الفقر مساعي كما
يحدث لاكثر الناس ولا انا قبيح الصورة فتصدّ عني النواظر وتنقبض مني
النفوس حتى اكون مهملاً من الصديق والمساعد ولذا تحققت بعد ان قلّمت
التجارب اظفاري مع صغر سني ان الغنى لا يجلب السعادة ولا السعادة
ملازمة لارباب الثراء بل رأيت ان غناي زاد شقاائي وسوء حظي وزاد
متاعبي وهمومي . وآخر برهان قام في ذهني على اني شقيّ عاثر الجدد هو
ان السفينة التي اتيت عليها اسمها « المقدور » وقد اوشكت ان تغرق في
عرض البحار لشدة ما قاست من احوال الانواء والعواصف وكان عدد
ركابها ثلاثة عشر وانا اسمي روبرت ثرين (اي ١٣ بالانكليزية) ولا يخفى

ان هذا العدد دليل على الشؤم والنحس . فقال ولنغام اما ابنتي فلم يصبها من مصائب الدهر سوى هذا المرض وانت قد شفيتها منه بنظره فدل ذلك على ان النحس فارقت من يوم حلت بهذه المدينة وانا والحمد لله رجل مؤسر استطيع ان اوفر لكما جميع معدات الراحة والرفاهية وبينما الرجل والفتى يتجادلان في هذا المعنى دخل خادم وقال لقد اتى الكنت بلطازار . فقال صاحب المنزل دعه يدخل . ولما دخل ارتعش روبرت من منظره لانه رجل طويل القامة ولون وجهه اسمر الى السواد وحاجباه كشيفان وعيناه تقدحان شرراً . وهو من اشراف البرازيل وكبار اغنيائها وكان له علائق تجارية مع محل ولنغام فكان يكثر من التردد الى منزله واخيراً كلف بحب جوليا فصار لا يلذ له ان يقضي سهرته في غير منزلها . وبعد لحظة دخلت جوليا كأنها البدر في ليلة تمة فحييت الجميع وجلست واقبل عليها الكنت يحادثها فصادف منها اعراضاً عن حديثه على غير ما تعود منها ووجد أكثر ميلها الى الفتى روبرت . فاخذت منه الغيرة مأخذها وظهرت على وجهه لوائح الكمد والاستياء وكان بعد ذلك كلما التقى بروبورت في المنزل تغير وجهه وانقبض صدره وقصر سهرته ما استطاع . ولما يأس من استمالة جوليا اليه خطبها الى والدها واطنّب فيما عنده من الثروة وسأله ان يشفع له عند ابنته ففعل فاجابته ان البرازيليين يعدّون من أكلة لحم الانسان فضلاً عن ان اسم الرجل بلطازار فلا استطيع ان اجلس معه على مائدة واحدة . فتلطف والدها في ابلاغ الكنت خبر رفضها اياه فطار لبه واسرع في مغادرة المدينة وخلا الجرّ لجوليا وحبيبها فألحت عليه عندئذ ان

يخطبها كما وعد فقال قبل ان تصمي على الاقتران بي اسمي قصتي
 انا احبك حباً لا يستطيع ان اعبر عن مقداره ولا اخالك تحتاجين
 الى البرهان على قولي لظهور بيناته عندك ولكنك اذا علمت ما ساقصة
 عليك جانبتي كما بجانب السليم الاجرب . اما قصتي فهي انه في مساء يوم
 من ايام شهر مارس سنة ١٨٢٤ اتت امرأة ملتفة با حرام وقرعت باب وليم
 طمسن بمدينة نيويورك ففتح لها عبد اسود فدفعت اليه سفطاً مستطيلاً
 ثقيلاً واوعزت اليه ان يسلمه الى سيده ثم انصرفت لشأنها . ولما فتح المستر
 طمسن السفط وجد فيه ولداً ورسالة من والدته تقول فيها

« انا الولد الثالث عشر من اسرة فقيرة وقد تحملت في بيت والدي جميع
 انواع الهوان والاحتقار والاهمال وكانت شقيقتي يلقي عليّ تبعة كل امر
 مقلق يحدث في بيتنا ويوسعني ضرباً ولكما وكان اهلي كلهم يقولون اني
 انا سبب مصائبهم وفقيرهم . واتفق ان والدي خسر ما كان عنده من المال
 القليل واصبح عاجزاً عن القيام بحاجات بيته فتواطأ اخوتي عليّ واقتوا
 بطردي فرحت اهيم في شوارع المدينة لا اجد رحيماً يؤويني عنده ولا
 شفيعاً يستخدمني في منزله وسمعت بعد ان طردت أن والدي استرد ما
 خسره ودخل الهناء بيته . اما ولدي هذا فاسمه روبرت وقد ولد يوم
 الجمعة الموافق ١٣ فبراير فسميته روبرت ثرين وعلمت انك رجل شفيق
 كريم الاخلاق ندي الكف فاستودعتك اياه سائلة رب السماء ان يجزيك
 عني خيراً وان يكلأه بعين عنايته التي لا تنام »

ومن غرائب الاتفاق ان المستر طمسن المذكور كان صيرفياً غنياً

مشهوراً بعمل الخير وليس له امرأة ولا ولد فربى ابن المرأة في مهد الترف وبعثه الى المدارس الكبرى ثم تبناه وقد توفي الرجل منذ ثلاث سنوات تاركاً كل ثروته لهذا الولد الذي هو انا يا جوليا محبك المستهام . ولكن هذه الثروة ما كانت الا سبباً في شقائي ومجلبة لكل همٍّ وغمٍّ على رأسي وعبأً ثقيلاً على ظهري والنحس لا يفارقني كيف سرت واين حلات كآني وُلدت عدواً للطبيعة او كأن الطبيعة تريد ان تخالف في احكامها ونواميسها مع اني ما اسأت في عمري الى احد بل كنت لا ارى مسكيناً الا احسنت اليه ولا حزيناً الا عزيتُهُ ولا ملهوفاً الا اغثته وقد علمني تذكاري والدتي المسكينة ان امسح دموع الفقر والبأساء

فصاحت جوليا كفى يا روبرت فان هذه الامور كلها ليست الا وساوس تأصلت في ذهنك لانك وُلدت مسكيناً وربيت في منزل رجل غريب لا يستطيع مها كان حنوناً ان يحبك نظير والديك فلا تحزن ولا تيأس ودعني ادبر الامر على ما اريد ولا تخبر والدي بما رويته لي

وبعد ايام اخبرت جوليا والدها انها اختارت روبرت خطيباً لها فسرَّ والدها بذلك سروراً عظيماً وبعد مدة قصيرة زُفَّت جوليا الى روبرت وراحا كلاهما يسبحان في انحاء فرنسا ولم يقع لهما في اثناء هذه السياحة شيء يسوء حتى ايقن روبرت ان النحس قد همَّ بمفارقة . وبعد رجوعهما الى بوردو اقترح المستر ولنغام على روبرت ان يسكن مع زوجته في منزل له بالخلاء يبعد مسيرة ساعتين عن المدينة وهو يشرف على نهر الغارون وحوله غابات وغياض ومروج فكانه بينها عش طائر . فسار روبرت مع زوجته

الى هذا المنزل البهيج واقاما فيه يجتنيان قطوف الحب دانيةً بمعزلٍ عن كل عاذلٍ ورقيب . وولدت جوليا فتاةً سميتها روبرتين بالرغم عن والدها فظلَّ قلق البال على طفلته حتى مرَّ على ولادتها ١٣ يوماً ثم ١٣ شهراً وفي آخر الشهر الثالث عشر ولدت جوليا غلاماً دعي وليم وهو اسم الرجل الذي ربَّى روبرت وتبناهُ ووهبهُ تركتهُ على ما تقدم . وهكذا قضى الزوجان ايامهما في ذلك الفردوس الارضي وهما يحمدان الله تعالى على نعمته حتى اذا ايقن روبرت ان الشقاء قد فارقه فراقاً لا رجوع بعده حدث له انه بينما كان ليلةً في غرفته اتاهُ بستاني المنزل وقال له ان شخصاً غريباً بالرواق يريد ان يكلمك على حدة في امر ذي بال . فاسرع لمواجهة الشخص فرأى انه الكنت بلطازار عاشق جوليا فوقف لحظة لا يعيد ولا يبدي . فقال له الكنت بلهجة المتكلم الساخر كيف حالك يا مستر روبرت ثرتين . فقال بخير وعافية والحمد لله ولكن قل لي من اين انت آت وكيف عرفت منزلي . فاجاب اني قادم من نيويورك وقد ارشدني الى المنزل احد مستخدمي محل حميك . فارتعش روبرت وقال ولماذا ذهبت الى نيويورك . فتوقف الكنت هنيهةً ثم قال يا روبرت ثرتين انك بتزوجك الفتاة التي لم أهو غيرها من بنات الارض قد طعنني في صميم فؤادي وقضيت على سعادتي وبنصت الي الغنى والجاه فأردت ان اعرف من هو هذا الرجل الذي نقص عيشي وحرمني اعظم اماني وآمالي وقد عرفتُه فهناك قصته

في يوم ٢٥ مارس سنة ١٨٢٤ وُجد على مسافة مياين من نيويورك جثة امرأة في مقتبل الشباب مشنوقة في غصن شجرة وكان عند الصيرفي

طمسن خادم اسود فعرف المرأة من ملابسها لانها كانت في اللبلة السابقة قد سلمت اليه طفلاً وسألته ان يسلمه الى سيده ليتولى تربيته . اما هذه المرأة فتدعى سوسانة هتكس وقد تزوج بها شاب يدعى جورج كان لذلك العهد كاتباً في محل هريسون وبركلي وشركائهما والظاهر ان سوسانة كانت مصابة باختلاط في عقلها لكثرة ما كابت من البؤس في طفوليتها ففي ذات يوم اصابها نوبة جنون شديدة فبرحت نيويرك تاركة زوجها في اشد حالات النكد والحزن وقد صرف المسكين بضعة اشهر وهو يبحث عنها ولما لم يجدها هجر البلاد الى فرنسا حيث كان المحل المذكور يريد ان ينشئ له فرعاً . اما سوسانة فقد التقطها فلاح من ضواحي المدينة واخذها الى بيته فولدت فيه الطفل الذي رباه وليم طمسن . واما جورج فانه تزوج بعيد وصوله الى فرنسا لينفي الهموم التي اورثته اياها زوجته الاولى وبعد سنة رزق جورج ولنغام فتاة دعاها جوليا

.

فعند ذلك انقض روبرت على الكنت وامسكه بخنقه وصاح به
انت كذاب منافق . فتملص منه بسكينة وقال له اذا كنت في ريب مما
قلت لك فاسأل ولنغام وخرج مسرعاً وهو يزأر كالاسد
فعاد روبرت الى غرفته وهو يترنح كالسكران واستلقى على فراشه
واغمض عينيه ثم نهض وانطلق الى غرفة زوجته وكانت نائمة نوم الملك
وغداثرها مدلاة على كتفها كانها كفاف من المسك لذلك الوجه المنير
فانحنى فوقها وهو يعصر فؤاده ليققل خفقانه وقبلها في جبينها ثم قبل ولديه

ودموعه تنساقط على الارض وعاد الى غرفته وفتح خزانة واخذ منها طبنجة وحشاها وجلس على مقعدٍ واسند رأسه بيديه وقال في نفسه كم اكون سعيداً لو كان هذا الرجل كاذباً . آه يا جوليا . يا روبرتين . يا وليم . كيف أترككم يا احبائي يا ثلوث الجمال والطهارة واللفظ . ثم ضرب بيده وقال لا . لا اموت قبل ان استجلي غوامض هذا السر فان ولنغام يطلعني على كل خفاياه اذا رويت له ما حكاه الكنت

وفي تلك اللحظة سمع وقع حوافر على الطريق فهرول الى الباب فوجد رسولاً من بيت حميه يخبره ان المستر ولنغام مات منذ ساعتين بسكتة دماغية فدهش روبرت حين سماعه هذا الخبر وعاد الى مخدعه وقد يئس من الوقوف على حقيقة ذلك السر . وبينما هو كذلك وقد حار في امره اذ ابتدأت الساعة تضرب فجعل يعد ضرباتها حتى اذا كانت شفعا عدل عن قتل نفسه وان كانت وتراً فرغ الطبنجة في دماغه . ومضت الساعة في ضربها حتى انتهت الى ١٢ فاستبشر وقد ايقن بكذب خبر الكنت والاحال قرع الباب قرعة شديدة فكانت تمام عدد ١٣ فتناول الطبنجة واطلقها على رأسه نحر قتيلاً يتشحط بدمه .

فاستيقظت جوليا مذعورة وأتت الى غرفة زوجها وانحنى فوقه تبكي بدمع سخين ثم التفتت الى جانب السرير فرائت ورقة صغيرة عليها هذه العبارة « لقد قلت لك ان زواجي بك سيكون سبب شقائك فلم تصدقيني . جوليا انت شقيقتي »

